[62] وكذلك لو فقدنا قانون (العلّية) فانّ (الفلسفة) أيضاً سوف تتزعزع بكلّ فروعها ، وعليه فانّ العلوم والأفكار والفلسفة مبنيّة على هذا القانون . 3 ـ جذور معرفة قانون العلّية كيف توصّل الإنسان إلى قانون العلّية ؟ للإجابة عن هذا السؤال لابدّ أن نرجع إلى الوراء لنستقريءَ حياتنا في الصغر ، عندما ينضج لدينا العقل وتكتمل قابلية التمييز فينا ، فالطفل يمدّ يده إلى النار فيحسّ بألم الإحتراق ، وعندما يعيد هذا العمل ويحدث فيه الإحساس نفسه يتيقّن شيئاً فشيئاً بوجود علاقة بين أمرين (مسّ النار والشعور بألم الإحتراق) . وهكذا حينما يعطش ويشرب الماء فانّه يشعر بالراحة وزوال العطش ويتكرّر هذا العمل حتّى يتيقّن بوجود علاقة بينهما ، وعندما تتكرّر هذه التجارب في مجالات كثيرة وموضوعات مختلفة يتيقّن بأنّ لكلّ حادثة علّة وبهذا يكتشف قانون العلّية بشكله الساذج البسيط ، وبإمتداد عمره وبالتجارب التي يمرّ بها سواء على صعيد الحياة الإعتيادية أو على صعيد العلوم والأفكار ـ سيدرك سعة هذا القانون وقوّته أكثر فأكثر (كما يصل إلى هذا المبدأ وهو أنّ لكلّ حادثة علّة عن طريق الفلسفة) . نحن لا نقول بأنّ تعاقب حادثين يعني العلّية بل نقول انّ القضيّة لابدّ من تكرارها حتّى يتّضح وجود علاقة بينهما ، وأنّ الثاني تابع للأوّل . والظاهر أنّ القائلين أنّ قانون العلّية تجريبي لا يقولون غير هذا ، وهو أنّ الإنسان يتوصّل إلى الجذور والاُصول عن طريق التجربة والحسّ ومن ثمّ يكتشف علاقة العلّية من خلال (التحليل العقلي) ، وهو في الحقيقة يرتّب مقدّمة من (الحسّ) واُخرى من (العقل) وذلك لأنّ القوانين الكلّية توجد في العقل بصورة بديهية ، ودور الحسّ هو إدراك الموضوعات المتناثرة ثمّ يقوم العقل بجمعها فيتوصّل إلى النتائج .